منشورات جامعة حلب
معهد التراث العلمي العربي

رئيس جامعة الموصل
مع أطيب التحيات والتمنيات
لكم بالصحة والتوفيق
حلب في ٦/٨/٢٠٠٧
أ.د. علاء الدين لولح
عميد معهد التراث العلمي العربي

أبحاث المؤتمر السنوي الثالث والعشرين
لتاريخ العلوم عند العرب

المنعقد في حمص
٢٣ – ٢٤ تشرين الأول ٢٠٠٢م



إعداد
الدكتور مصطفى موالدي
رئيس لجنة الطباعة والنشر

إشراف
الأستاذ الدكتور علاء الدين لولح
عميد معهد التراث العلمي العربي

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

أبو بكر الرازي (ت ٣١٣هـ/ ٩٣٥م)
قراءة تحليلية لشخصيته من خلال قائمة عناوين مؤلفاته

أ.د.جزيل عبد الجبار الجومرد
العراق

(١)

إن موضوع دراسة أبو بكر محمد بن زكريا بن يحيى الرازي (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م) من حيث كونه، بشكل عام، عالماً موسوعياً مسلماً، أصبح موضوعاً غاية في السعة بعد كثرة البحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات التي تمت حول الرجل وتراثه المكتوب[١]. ولم يعد تناول هذا العالم جملة وتفصيلاً من حيث حياته وارثه عملاً يمكن انجازه في بحث واحد منفرد، بل أصبح تناول جزء من هذا الموضوع، بحد ذاته، غاية قد تحتاج إلى الكثير من الجهد. لقد خصصت دراسات واسعة عن الرازي وحياته أو كتبه أو فلسفته أو طبه أو حتى كيميائه، مما أصبح معه بمثابة المسلمات ان يقتصر البحث على جانب من جوانب تلك الشخصية الفذة، والتفرغ لها بالدرس، دون الجرأة على الخوض في غمار مشروع مستطيل لدراسة هذا الرجل الظاهرة ككل.

من هنا تحاول هذه الدراسة ان تسبر ناحية ضيقة من نواحي أفق أبو بكر الرازي الرحيب. وبالتخصيص، موضوع التحليل تحليلا تاريخيا ثقافياً دلالياً، وحتى رمزياً، لقائمة عناوين مؤلفاته. أولا : كقائمة متكاملة، وثانياً: كعناصر ومفردات هي عناوين الأعمال التي ألفها. ولن يكون عملنا منصباً على الاهتمام بأماكن وجود الكتب، أو ما حقق منها، أو عدد نسخها، أو محتوياتها، فهذه موضوعات بعيدة عن غرضنا في هذه الورقة، ما نسعى إليه، هو ان نحدد بالتأكيد ملامح ومظاهر وحتى بواطن شخصية الرازي، من خلال عناوين كتبه ومواضع تلك العناوين كما وردت في قائمة كتبه من حيث تتابعها أو انقطاعها عن بعضها.

لقد وصلت إلينا بالتحديد أربعة قوائم، يُزعم أنها كاملة، بأسماء وعدد مؤلفات أبو بكر الرازي. الأولى: احتواها كتاب **الفهرست** الشهير لأبي إسحاق بن النديم (ت بحدود ٣٨٠هـ/٩٩٠م)[٢]، وثانيها: قدمها عالم مسلم آخر، ند للرازي، من القرن الذي يلي قرنه (القرن ٥هـ/١١م)، وهو أبو الريحان محمد الخوارزمي البيروني (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) ألفها بناء على طلب صاحب له[٣]. وقائمة ثالثة: قدمها علي بن يوسف

القفطي (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) في كتابه الذائع الصيت **تاريخ الحكماء** نجدها فيما نشر مما هو معروف على انه ملخص ذلك الكتاب، بتحقيق يوليوس ليبرت[٤]. أما القائمة الرابعة والأخيرة : فهي التي أوردها موفق الدين ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) في كتابه **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**[٥].

ومنذ الوهلة الأولى تنشأ مشكلة متوقعة، نحاول تحاشيها في بحثنا هذا دون الخوض في لججها، تلك هي الاختلافات الجزئية الصغيرة والكبيرة، على أهميتها، بين هذه القوائم الأربعة.

فقبل كل شيء هناك اختلافات بين القوائم في عدد الكتب المدرجة في كل منها. كمثال، يتبين لنا ان قائمة ابن أبي أصيبعة تبلغ في عدد كتبها، تقريبا، ضعفي عدد كتب قائمة ابن النديم، والتي هي قائمة الرازي نفسه. كذلك تختلف المسميات قليلاً أو كثيراً فيما بين هذه القوائم، فبعض الكتب تحمل عناويناً تختلف عما يفترض انها هي نفسها من قائمة إلى أخرى. أضف إلى ذلك أن ترتيب الكتب في تسلسلها، أيضاً، يختلف من قائمة ابن النديم عن تلك التي للبيروني عن تلك التي لابن أبي أصيبعة.

ان كل هذه الأمور غاية في الأهمية، وهي إشكاليات حرّية بان يتصدى البحث الدقيق لحلها، وإذا ما حلت فستكون النتائج ذات قيمة كبيرة من حيث أثرها في أثراء دراستنا عن الرازي.

منذ البدء نقول بأننا سنعتمد قائمة ابن النديم.

(٢)

لماذا نتخذ من قائمة ابن النديم مرتكزا لبحثنا هنا ؟ ... ان ذلك لا يعود إلى مجرد كونها الأقدم والأقرب إلى عصر الرازي، بل إلى ما هو أهم من ذلك، وبالخصوص بالنسبة لموضوع دراستنا الذي هو تحليل لشخصية واتجاه معرفة الرازي، وهو ان هذه القائمة من نتاج الرازي نفسه، حيث يقول ابن النديم : "ما صنفه الرازي من الكتب منقول من فهرسته..."[٦]. من هنا فهي الصق بالرازي وأكثر تعبيراً عن ملامح شخصيته من أي من القوائم الأخرى. لقد اعتمد القفطي في قائمته أيضا على ما ذكره في كتابه بقوله : "فأما تصانيف الرازي المنقولة من فهرسته فهي ... "[٧]، وهذا يعني، إن القفطي ، أما أن يكون قد اعتمد نسخة من فهرست الرازي الذي بقلمه، أو انه نقل القائمة من **فهرست** ابن النديم. ونحن نغلب الاحتمال الثاني وهو النقل من ابن النديم، لأنه، أولاً : أشار إلى ابن النديم كمصدر له

في الكتابة عن الرازي، وثانيا : لأنه لم يضف إلى قائمة الرازي التي أوردها ابن النديم غير عنوانين في الوقت الذي اسقط منها خمسة عشر عنوانا.

أما قائمة البيروني، ومن بعدها قائمة ابن أبي أصيبعة، فكلاهما بحاجة إلى بعض الإيضاح، وهو مما يتطلبه الأمر لتبيان سبب عدم ارتكاز بحثنا أساساً إلى واحدة منهما دون قائمة ابن النديم التي فضلناها.

كلتا القائمتين، قائمة البيروني ثم قائمة ابن أبي أصيبعة، ناهيك عن اختلافهما في عدد الكتب المدرجة فيهما، وفي تسميات بعض العناوين مقارنة ببعضهما وبالقائمة التي يفترض بان الرازي نفسه قد أعدها لمؤلفاته كما أوردها ابن النديم على حد قوله، ناهيك عن هذا، فإن القائمتين مرتبتين من حيث تسلسل الكتب وعناوينها ترتيبا موضوعيا. وهي ان القائمة في حالة البيروني وابن أبي أصيبعة لم تعد مرتبة كما اشتهى لها صاحبها الرازي وانتفت فيها صفة التسلسل، الذي رغم انه يبدو "عشوائياً" إلا انه ذو فائدة بالنسبة لنا للتعرف على أسلوب تفكير الرازي وخطوط استرجاع ذاكرته وترابط عناصرها. وفي هذه الحالة لم تعد قوائم البيروني وابن أبي أصيبعة ذات نفس القيمة التي لقائمة المؤلف، الرازي نفسه، رغم أنها رتبت ترتيباً " حسناً " وفقاً لأساليب الترتيب البيلوغرافي التقليدي الرائج في التراث العربي الإسلامي البيلوغرافي.

(٣)

ان دراستنا للقائمة، التي اتفقنا على أنها قائمة الرازي وبقلمه، كما وردت لدى ابن النديم، لا تقوم على أساس تناول محتوياتها واحداً واحداً فقط. بل على أكثر من أساس. كما انه لن يكون مجدياً تناول عناصرها تباعا واحدا واحدا بالتفسير لأن بعض تلك العناصر، أو العناوين، هو على درجة من الوضوح والإعراب عن ذاته مما لا يحتاج معه إلى وقفة، خذ مثلاً عناوين كتب:

ككتاب **الباه**
وكتاب **الهيولى الكبير**
وكتاب **هيئة الكبد**
وكتاب **هيئة القلب**
وكتاب **أوجاع المفاصل**
وكتاب **هيئة السماخ** ... الخ[٨].

دار كتبه أو ذهبت أخرى بالفيضانات أو تناولتها ايدي جاهلة فوظفتها فيما لا تحمد عقباه. كذلك فان ثقافة عصر الخط والنسخ والوراقة تتطلب حرصاً من المؤلف ذو الإنتاج الخصب على اسمه من أن تطاله الشفرة أو الحك أو المحو من قبل ناسخ أو هاوٍ أو لص مؤلفات، فتذهب بعمله، بجرة يد واحدة، ليحل محله اسم آخر، أو يمتلك جهده شخص آخر..وإلى الأبد.

فإعداد المؤلف إذا لفهرست بمؤلفاته، هو عمل تبرره ظروف ثقافة الخط والنسخ والوراقة بحكم خصوصياته، و لكن يجب ان لا نتجاهل ما ذكرناه أولاً من كونه يعرب عن وجه من أوجه الاعتداد الذاتي المقبول لفائدته.

(٥)

قائمة مؤلفات الرازي في جملتها، كما أعدها هو، لا ينتظمها نظام تقليدي مألوف من حيث ترتيب عناصرها، فالكتب أو الرسائل ليست مرتبة حسب المواضيع، ولا حسب تواريخ الانجاز، ولا أبجدياً أو ألف- بائياً، ولا غير ذلك. إنما تبدأ القائمة كما يبدو لنا بما عنّ على بال الرازي أول ما عنّ له من هام كتبه، ولو تتبعنا بدقة مفرطة لوجدنا انه مما لا يقبل الشك ان الرازي اعتمد على ذاكرته وليس على شيء آخر. ونلمس فيما يتعلق بذاكرته ان بعض الكتب تتسلسل تباعاً مما له صلة ببعضه عن طريق ترابط معين، فالكتب الأولى مثلاً توحي بأنه بعد ذكره لكتابه الأول وهو : كتاب **البرهان**، تتلو أسماء كتب إما شرحاً أو على شكل مجاميع مما يتعلق بكتب المنطق لأرسطو، وكأنما استرجع الرازي أسماء الكتب الأولى القليلة من خلال ارتباطها ببعضها بمسألة المنطق، وان كان قد تخللها ذكر كتاب لا يبدو من حيث العنوان انه مسيس الصلة بتلك الفئة المنطقية الأرسطية وهو :

كتاب **إن للإنسان خالق حكيم**[16]

إلا أن يكون قد استذكره من حيث شدة وأهمية ارتباطه بمسألة البرهان الذي يبدو انه لجأ إليه غالباً في بناء حجته في إثبات هذا الأمر، أي أن للإنسان خالق حكيم، وهو أمر لابد انه اعتبره واحدا من امجد أعماله واحراها بالذكر مباشرة بعد أن استحضر في ذهنه **البرهان** كأسمى تجل للجهد العقلي المحض الذي أولاه الرازي المرتبة الأولى احتراما.

ظاهرة الاسترجاع الكتلي، إذا صحت العبارة تلك، تتكرر أكثر من مرة عبر القائمة ولكن يقطعها عن بعضها أسماء أو عناوين مفردة أو مجتمعة لا تبدو مما يتم الاتصال أو يشير إلى ان ذاكرة الرازي كانت قد نظمت مسبقاً أو أعدت لعملية الاسترجاع تلك، وهذا يؤكد لنا أو يتيح لنا ان نفسر واحداً من أسباب كثرة نتاج الرازي حيث انه لا يتعب نفسه كثيراً في تنظيم مقاطع أعماله ما لم تكن متتامة منطقيا أو عاليا، فهو يترك لعقله أن يعمل برهانياً أو

استدلالياً على سليقته منطلقاً دون حواجز التنظيم التي تتطلب وقتاً و تقطعا وتوقفات تستهلك زمنا كان الرازي يتيحه لقلمه أكثر مما يسمح به لإرضاء التقليد التنظيمي لعناصر مادته. فالرازي لولا ذلك لكان أولى بتنظيم قائمة كتبه من أن يقوم بها أبو الريحان البيروني أو ابن أبي أصيبعة، وهذا يؤكد ذلك النص، الذي كثيراً ما ورد في سياق ترجمة الرازي الفقيرة التفاصيل، من انه كان يرى دائماً منكباً ينسخ أو يكتب أو يقرأ[17]. وقد يعترض معترض ان ذلك قد لا يكون صحيحاً بالنسبة لعقل فيلسوف طبيب شهير كالرازي، فمثله لابد ان يكون ممن يرتب محتويات أعماله ترتيباً سليماً ذو دلالة ولكن نكتفي بالإحالة على ترتيب مادة كتاب " الحاوي " كما أوردها ابن النديم لنرى كم ان المادة الثرية والرائعة الأهمية علمياً مرتبة وفق ترتيب لا يبدو، وفقا للتقليد، انه منتظم بما فيه الكفاية.

نعود فنقول بخصوص هذا التنظيم انه قد يكون فيه ما يعبر عن شخصية الرازي أحسن تعبير عندما يقفز على الأساليب والنظم التقليدية، وهذا دأبه دائما كما سنرى تباعا، لرصف عناصر فهرست ما، اما ابجدياً أو موضوعياً ... الخ، حيث يترك الأمر لذهنه يرتب العناصر ترتيباً " ينتظمه " تواصل فكري عقلي " مريح". والسؤال مرة أخرى، لماذا ورد كتاب **أن للإنسان خالق حكيم** بين كتب أرسطو حيث يبدو انه محشور حشراً ؟ والجواب هو، ربما، انه عند ذكره للبرهان انساق إلى ذاكرته مباشرة أهم ما يمكن أن يرتبط بالبرهان كأسلوب أو أداة هي الغاية في المنطق من اجل الحصول على الحقيقة انسانيا ساقه ذلك إلى ذكر أهم ما يمكن ان يكون قد سخر الرازي إمكاناته البرهانية في تحقيقه وهو إثبات وجود الخالق فتداعي الأسماء هنا منطقي حسب المزاج الفكري للرازي وحسب أهمية تسلسل تاريخه الذهني، ثم تكون بعد ذلك العودة ثانية إلى كتب أرسطو.

وفي مكان آخر من القائمة، كمثال ثان، يخبرنا الرازي وهو مستمر في تعداد كتبه:

كتاب **في نقد الجاحظ في نقده الطب**[18]

يليه كتاب:

في نقد الجاحظ فيما يتعلق بامر الكلام[19]

وواضح ان الكتابين يرتبطان ببعضهما بواسطة كونهما موجهان لنفس الشخص، الجاحظ، وكونهما في الحالتين يمثلان رداً أو دحضاً له. ولكن ما لذي يجعل الرازي يورد بعد الكتاب الثاني مباشرة كتاب **الفالج**، ثم كتاب **اللقوة**. هنا، مرة ثانية، ارتبط الجاحظ في الكتاب الأول بمسألة الطب والرازي طبيب ولابد انه عندما أورد كتابه، تذكر، كطبيب، واحدة من اهم محطات حياة الجاحظ الذي كان قد توفي منذ ثلاثة أو أربعة عقود من الزمن ليس

أكثر، حيث عانى آخر فترة من حياته بما اشتهر أمره[٢٠]، بداء الفالج، الذي حدثنا الجاحظ نفسه عنه حديثاً بليغاً مؤثراً يذكره كل من اهتم يوما بسيرة الجاحظ، فذاكرة الرازي تنسحب، بعد ارجاء سريع أتم فيه ذكر الكتاب الآخر المتعلق بنقد الجاحظ، ليتابع متسلسلا عبر هذا الخط من الترابط بين الأشياء كما تفرضها طبيعة اهتماماته المنصبة نحو المعرفة وتفسيراتها وتعليلاتها وأوشاجها، ليذكر الكتاب الذي له والذي عنوانه **الفالج** مرض الجاحظ الذي كان للتو يورد اسمه في كتابيه النقديين السابقين.

(٦)

من أهم ما يلفت النظر في عناوين كتب الرازي، وهو أمر طبيعي بالنسبة لعالم وفيلسوف وطبيب مسلم في ذلك الوقت (أي القرن ٣-٤هـ / ٩-١٠م)، ان يكون له صلة متينة بالتراث اليوناني وما يسمونه " العلماء القدماء " بدءاً بسقراط (ت٣٩٩ ق.م) وابقراط (ت القرن ٥ ق.م) وأفلاطون (ت٣٤٧ق.م) وارسطوطاليس وجالينوس...الخ، ورغم أن كتب الرازي ذات العناوين المتصلة بقدماء العلماء من اليونانيين ليست كثيرة حيث أنها لا تتجاوز الثمانية عداً من مجموع يقدر بـ (١٤٠) عملاً فإن تلك الصلة تبدو متينة جداً، ولكنها ليست كصلة حنين بن إسحاق مثلا بالموروث اليوناني حيث ان ما هو يوناني كان طاغيا عليه أكثر منه متفاعلاً معه، واقل منه أبو إسحاق يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٥هـ/٨٦٧ م) ثم حتى بعد ذلك محمد بن محمد الفارابي (ت٣٩٩هـ/٩٥٠م) وكلاهما تفاعل مع ما هو يوناني، إلا أن الرازي وبقدر ما كان يكن من احترام كبير جداً لفلاسفة اليونان، حيث يسمي سقراط "إمامنا سقراط" أكثر من مرة[٢١] ويمجد أفلاطون[٢٢]، ويبدي الاعتذار من نقده لجالينوس[٢٣]، إلا انه بموجب تلك الثقة الكبيرة جداً التي كان يمتلكها كما يبدو فانه تجاوز إلى ما لم يفعله غيره من علماء العصور الإسلامية من التجرؤ على نقد كبار علماء اليونان، كجالينوس مثلاً، كما في كتابه **الشكوك على جالينوس**[٢٤]، وواضح من بدأه لقائمته بكتاب **البرهان** ثم بعض الكتب من باب الشرح أو العرض لكتب ارسطوطاليس انه أراد أن يرتفع بنفسه في الوسط الإسلامي إلى مرتبة أرسطو في وسطه الأثيني. ولم يكن ليحجم عن نقد أولئك الفلاسفة والعلماء و الاعتراض على طروحاتهم، ليس فقط من باب ولعه بالنقد والاعتراض، وان كان ذلك جزءاً من شخصيته كما يبدو، بل انه كان يفعل ذلك وعن قدرة معرفية من باب القناعة العلمية بان إصلاح الخلف للسلف في فكره معادلة عقلية منطقية طبيعية مشروعة لا تحط من قدر القديم ولكنها تعطي للخلف موضعه الصحيح إن كان يستحق في الانتظام في سلك السلف، يقول عزيز العظمة وهو يقدم توصيفاً عقلياً جميلاً لطبيعة موقف الرازي من المعرفة

"... اعتبر {الرازي} ان المعرفة قابلة للتقدم وان المتأخرين، ولئن اقتدوا بالأولين، إلا انه يتعين عليهم العمل على مراجعة وتفحص ما يرثونه، لتراكم المعارف، وتقدم المدارك... وان لكل عصر عقلانية خاصة به، محدودة بافقه ومداركه، ذلك انها تفترض... إن المعرفة واحدة وان تطورها تطور نحو الكمال المطلق الذي رام الرازي المساهمة في جعله متقرباً من الكمال والانتهاء والاستكمال عن طريق الاستمرار في تحسين الموروث وتحديثه ..." [٢٥].

لقد تفاعل الرازي مع القدماء اليونان تفاعلاً متنوعاً فقد حاكاهم وناظرهم وناقش أعمالهم ووضع الشكوك على بعض معطياتهم بل وخاض في غمار حواراتهم فزج بنفسه في الرد على بعضهم مما كان قد ناقض بعضهم الآخر[٢٦] واعد بعض المختصرات لبعض أعمالهم وخاصة جالينوس في حوالي الثلاث كتب[٢٧]. وأجمل ما في أعماله في هذا الصدد، بالإضافة لكتاب **الشكوك على جالينوس** الذي يعتبر رائعة من روائع الإنتاج الإسلامي النقدي فهو الكتاب الذي وضعه بمثابة الاستدراك على الفهرست الذي وضعه حنين بأعمال جالينوس حيث أضاف الرازي أو استدرك بأعمال أخرى لجالينوس لم يذكرها جالينوس نفسه في فهرسته ولا تداركها حنين بن إسحاق الذي هو أعظم من ترجم أعمال جالينوس إلى العربية والسريانية، وبذلك كان الرازي بمثابة من يقول انه احتوى تراث جالينوس وألمّ به، ومَجازاً، فانه أصبح أولى بأعمال جالينوس من جالينوس نفسه، ثم زاد بنقده له في شكوكه المشهورة له. وربما، لو سمع الرازي ما أطلقه عليه المؤرخ الأندلسي الشهير ابن صاعد، في كتابه المعروف **طبقات الأمم** من لقب وهو "جالينوس العرب[٢٨]" لثَلَجَ صدره، فهو دونما شك اللقب الذي كان يظن نفسه جديرا به، وان غلب الظن انه كان يفضل عليه لقب "جالينوس عصره".

مسألة أخرى حرية بالالتفات هنا فيما يتعلق بعناوين كتبه ذات الصلة باليونان وعلمائه مما موضوعه النقد لنتاجاتهم ومعطياتهم، وهو استخدامه مفردة "الشكوك" التي استبدلها بلفظة "النقض" أو "الرد"[٢٩] أو غيرها من المفردات الأخرى عندما خاصم في حواراته علماء المسلمين ومفكري عصره أو من سبق عصره من عصور الإسلام كالجاحظ وأبو القاسم البلخي الكعبي (ت ٣١٩هـ/٩٣١م)، وهذا دونما شك إشارة واضحة إلى انه كان يضع العلماء اليونان في مقام أسمى مقارنة بعلماء الإسلام وان كان هو ذاته يشعر نفسه نداً لهم، هذه الندية التي تجلت في عنوان كتابه:

كتاب **في الشكوك التي على برقلس**

ثم الكتاب الآخر الهام:

كتاب **الشكوك على جالينوس**

ومضمونه الثمين فكرياً. وقد عابه على جرأته واستكثرها منه شانؤوه من علماء العرب والمسلمين، وكأنهم أبوا أن يتطاول واحد منهم على أولئك العظام، وهي ظاهرة كانت سلبية فيما يتعلق بالعلماء العرب والمسلمين، كما فعل الطبيب أبو بكر بن خيرون بن زهر (ت .../١١٩٩م) معلقاً على شكوك الرازي على جالينوس بان الرجل قد خرف أو انه أثرت في عقله غازات السموم المنبعثة من المواد الكيميائية التي كان يحضرها، على حد قوله التي جعلته يفقد صوابه[٣٠]. وأخيراً، فمما يمكن قوله في هذا المجال، انه يبدو لنا من خلال عناوين كتب الرازي كلها، وحتى بالعودة لتفاصيل مضامينها، يتبين بان الرازي كان فيلسوفا وطبيباً محسوباً على الإسلام ولكنه يوناني الثقافة، قرأها وهضمها وتفاعل معها ونقدها ولم يرتض سواها بسهولة.

(٧)

ابتدأ الرازي قائمته بإدراج كتاب **البرهان**[٣١]، وهذا بحد ذاته يحمل أكثر من دلالة ومعنى ذو أهمية، أولها إننا نعلم أن **البرهان** أيضاً هو اسم آخر كتب ارسطوطاليس المنطقية[٣٢] والذي يعتبر من أهم كتبه، فواضح ان الرازي وبشكل مباشر وغاية في الاقتضاب أعلن منذ الوهلة الأولى تواصله مع الفلسفة اليونانية وربما مع أرسطو، قمة تلك الفلسفة.. ونقول " ربما " لأننا لا نعلم بالضبط ما هو محتوى الكتاب[٣٣] ولا ما إذا كان شرحاً أو نقداً أو عرضاً أو تقديماً أو مدخلاً لكتاب **البرهان** لأرسطو، ولا ما إذا كان عملا يحمل نفس اسم كتاب أرسطو، تيمناً فقط من قبل الرازي، ولكنه مستقل عنه. كما أننا لسنا متأكدين تماما هل ان المقصود هنا، من حيث الصلة، كتاب **البرهان** لأرسطو ام كتاب **البرهان** لجالينوس، فان كانت الصلة بأرسطو، ونحن نعجب لماذا قفز الأستاذ عبد الرحمن بدوي الموضوع دون اشارة واحدة ذات قيمة عندما ناقش مسألة كتاب **البرهان** لأرسطو عند العرب[٣٤]، فلم يقل شيئاً، علماً بان مشكلة أساسية هامة جداً تنشأ هنا، حيث ان الفيلسوف المسلم ابو نصر الفارابي (ت ٣٣٧ هـ/٩٥٠م)، رغم انه عاصر الرازي ولكنه تأخر عنه في تاريخ وفاته، اخبرنا، بما أصبح متواتراً معروفاً، انه أول من قرأ من المسلمين كتاب أرسطو **البرهان**، كما أننا لم نعلم ان الكتاب الأرسطي كان متوفراً بترجمة عربية حتى نهاية القرن (٣هـ/٩م) فمن اين للرازي تلك الصلة " **بالبرهان** " الأرسطي، ومن هنا فلابد من ترجيح كفة **البرهان** الجالينوسي. اياً كان الأمر فقد يعني احتمال وجود ترجمة أخرى **للبرهان**، غير تلك التي عرفناها بقلم متى بن يونس ت ؟؟؟، مبكرة عليها، وربما يدفعنا هذا لإثارة احتمال

طالما رفض..هل ان عبد الله بن المقفع (ت١٤٣هـ/٧٦٠م) كان قد ترجم بعض كتب أرسطو؟؟[٣٥]. والجواب سيكون فيه الحل أيضا للطريق الذي عرف بواسطته الفيلسوف الكندي (ت ٢٥٢/٨٦٦م) كتاب أرسطو هذا.. ومن ثم كتابته " شرحا" له.

مهما يكن الأمر فان الاستهلال بمفردة البرهان في أول القائمة له دلالته الأخرى القوية وربما القاسية، فهو مرة أخرى تصريح، بل تحد عنيف، نستطيع القول ان شخصية الرازي تطبعت عليه كما يتضح من بعض النصوص التي وردت عن حياته أو حتى عناوين كتبه الضائعة، حيث انه كان عنيف التحدي، صلبا في حواراته العقلية الحادة والمعمقة[٣٦]. ان الرازي هنا يبدو كما لو انه، وبعد مرور عقود قليلة على تراجع جماعة العقل في الإسلام رسمياً بقيادة المعتزلة في مواجهة أهل السنّة جماعة أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، التي كانت تغلّب المعرفة الإسلامية النقلية على العقلية، والتي انتصرت بعد محنتها على عهد أبو جعفر عبد الله المأمون بن الرشيد (١٩٨-٢٠٢هـ/٨١٣-٨١٧ م) فأبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن الرشيد (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م) فأبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦ م) وحازت حريتها وامتلكت اليد العليا في المجتمع، وخاصة البغدادي، ثقافياً، يعود الآن الرازي بعد عقود قليلة ليعلن ان العقل في مقدمة كل المرجعيات المعرفية، وعلى قمة قائمته الفكرية من حيث الاهتمام، بل واخطر من ذلك ان نظرة إلى القائمة جملة، بكتبها ورسائلها، تفصح إن أية إشارة إلى النقل غير موجودة ولا حتى مفردة من مفردات ثقافة النقل تلك مما في تضاعيف العناوين إطلاقاً. ان هذا التحدي يجب ان يُدرس من حيث نوعية الأجواء الثقافية التي عاش الرازي في ميدانها وطبيعتها المعرفية واتجاهاتها، لا أقول الشعوبية أو الزندقة إطلاقاً ولكن تلك الحرية المفرطة والتطرف في استحسان العقل والثقة المطلقة به كوسيلة معرفية، ليس بالضرورة إنسانية وفقاً لطرح الرازي، بل انسانية – الهية وفقاً لمنظوره الفلسفي في شكل الصلة العقلية بين الإنسان والخالق. لقد غيّب الرازي ثقافة النقل وأقصاها من قاموسه وفتح الباب على مصراعيه للعقل في أوج تجلياته، وأوج تجلي العقل ليس في القياس ولا في مجرد الاستنباط، بل..في البرهان.

(٨)

إن عنف الرازي العقلي يكاد يكون واضحاً في مفردة أو مفردتين في كل عنوان من عناوين قائمته، وليس هنالك من عناوين فيها معنى الليونة والتعاطف والروح اللينة السلسة، التي زعم بأن الرازي امتلك الكثير منها تجاه فقراء المرضى أو من ودّ مساعدتهم من الناس، الا في قليل من كتبه، منها الكتب الثلاثة التالية:

كتاب **إلى من لا يحضره طبيب**،

كتاب **الأدوية الموجودة بكل مكان**،

كتاب **إبدال الأدوية ... الخ**(٣٧).

إن ما عداها تدل عناوينها على تاصل روح سجال جدلي مزمن اثاره مع من حوله من علماء معاصرين أو قدامى من ذوي شتى الاتجاهات فكرية المعروفة حتى عصره. أن كون (٢٦) كتاباً أو رسالة من مجموع أعماله التي أوردها ابن النديم والتي عددها قرابة (١٤٠) عملاً كلها كانت في "الرد على.."، أو " فيما جرى **بينه وبين**.."، أو" **الشكوك** على.."، أو " **استدراك** على..، أو " **نقض** كتاب.. "، أو " **فسخ ضن من توهم**.." .. كلها مفردات جدل محتدم وردت في عناوين هذه ال(٢٦) عملا من أعماله ، بل أن بعضها تضاعفت في عنوانه كلمة النقض بقوة، من مثل :

كتاب **نقض نقض البلخي للعلم الإلهي**،

كتاب **الرد على الكندي في رده على الصناعة**،

كتاب **الرد على الجاحظ في نقضه الطب**.

دونما شك عاش الرازي حياته الثقافية مجادلاً مخاصماً في مسائل العقل والمعرفة، مما جعل الكثيرين لا يميلون إلى جانبه، ناهيك عن أسباب أخرى أسهمت في البعد عنه(٣٨)، ويبدو من تلك العناوين الـ(٢٦) انه لم يترك مذهباً فكرياً ولا اتجاهاً ذهنياً ولا فلسفة أو حقلا معرفيا طبيا أو كيماويا، قديما أو معاصرا إلا وتناوله محاورا، طورا بالنقد وطورا بالرد، ومن بين من نقدهم أو وضع الشكوك حول معطياتهم أو نقض طروحاتهم أو استدرك على ما افلت منهم أسماء كثيرة على رأسها علماء اليونان القدماء، مثل جالينوس، حيث أن نقده توزع في كتب الرازي الطبية خاصة، إلا أن كتاب **الشكوك على جالينوس**(٣٩) بالذات جاء فريداً في بابه في هذا المجال، ثم انه في مناسبة أخرى انتصر لجالينوس في قضايا صغرى وجه احدهم فيها النقد إليه، كما في كتابه:

كتاب **الرد على احمد الطبيب فيما رد به على جالينوس في أمر الطعم المر**(٤٠). كذلك فانه نقد كتاب **أنابو إلى فرفوريوس** المعروف بشرحه لمذاهب ارسطو في العلم الإلهي وله نقد في مسائل الهندسة اليونانية أيضاً، وله شكوك على برقلس ت ٤٢٩ ق.م العالم اليوناني المشهور.

لا نريد أن نغرق في التفصيل في دلالة المفردات، إلا أننا نقول انه مما له معناه انه استخدم مفردة **الشك** أو **الشكوك** عند جدله مع أفكار أو كتب القدماء من اليونانيين، والشك أو

الشكوك، كمفردة، في محتواها ومعناها، تحتمل وجود الخطأ إلى جانب الصواب، أي الظن في الصحة وليس الجزم بالخطأ، ولكنه، أي الرازي، لا يستخدم هذه المفردات إطلاقا في عناوين كتبه الجدلية مع المسلمين من سابقين أو معاصرين كالجاحظ، والمنشئ، والبلخي، بل غالباً ما يستخدم كلمة الرد، وهي تعني دونما شك الرفض للمعطى المطروح أو كلمة النقض مثل كتب: كتاب **مناقضة الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام**. وكتاب **الرد على سهيل البلخي في تثبيت المعاد** و كتاب **نقض كتاب الوجود لمنصور بن طلحة** وكتاب **النقض على الكيال في الإمامة**(٤١)، ولا يخفى ما في كلمة النقض من معنى الهدم والتقويض، فمن خلال العناوين هذه يبدو الرازي أكثر حذراً والين جانباً في جدله مع علماء اليونان القدماء قياساً إلى أسلوب خطابه للمسلمين من العلماء من أقرانه، فهو بهذا أكثر رفعاً لمن يحاوره من اليونان على أنداده من المسلمين.

وبخصوص جدله مع ما هو إسلامي فقد طال نقده المعتزلة في أكثر من كتاب مثل:

كتاب **مناقضة الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام**

كتاب **الانتقاد والتحرير على المعتزلة**

ولم يكتف الرازي بنقد الجاحظ على كونه معتزلياً، وعلى طروحاته في مواضع الكلام، بل رد عليه فيما يتعلق بآراءه السلبية تجاه الطب. وانتقد الإسماعيلية في أكثر من كتاب أيضاً، كما انتقد الفيلسوف الكندي المشهور أبو إسحاق عندما ألف كتاب:

الرد على الكندي في رده على الصناعة

وهو في ميدان الكيمياء. كمارد على من اعتقد في مسائل الفلك في أكثر من رسالة منها:

رسالة **في فسخ ظن من توهم أن الكواكب ليست في نهاية الاستدارة**

بالإضافة إلى هذا نقض أو رد على أكثر من واحد في مسائل طبية كرده على الناشئ في كتاب:

كتاب **الرد على الناشئ في نقضه الطب**

وأيضاً كتاب:

كتاب **الرد على جرير الطبيب فيما خالف فيه من أمر التوت الشامي بعقب البطيخ.**

وفي كتاب آخر تناول المتكلم المشهور في عصره سهيل البلخي في:

كتاب **نقضه على سهيل البلخي في تثبيت المعاد**

ومن هنا يمكن القول أن الرازي مثّل ظاهرة عقلية نقدية وضعت معرفة عصره بجملتها قيد النقد العقلي البرهاني الصرف، فواجهها بإشكالات الرد، وزاد من سخونة جو الحوار واضطرام المعرفة الحقة أن تتبع ما كان يحسبه حقاً، وربما كان رائعا أن تزداد الحقيقة وضوحاً وبياناً وتخلصاً من شوائب الماضين على يد خلفهم من العلماء شأن المعرفة كما تصوره هو، وليس بالضرورة ان تزداد المعرفة تطورا. ودونما شك فانه بذلك دفع المعرفة الإسلامية متحديا باتجاه الجدل، ومن ثم باتجاه إعادة النظر وتوضيح الرؤية، رغم أنه وقع في مزالق نجمت عن ذلك الالتصاق المفرط بمسائل العقل والبرهان عندما رفض كل معرفة لا تتأتى عن طريق العقل، فوقع في مغبة نقد المعرفة النقلية، ومن ثم اختصم كما يبدو مع مسألة من مسائل الشريعة، فاتهم ولعن وحذّر من أفكاره. وينعكس ذلك باعم عبارة في قول صاعد الأندلسي: "إن الرازي لم يوغل في العلم الإلهي ولا فهم غرضه الأقصى، فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخيفة، وانتحل مذاهب خبيثة، وذم أقواماً لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم"(٤٢). لقد آوى، متطرفاً إلى العقل، ولم يرعوي بعدم الائتلاف مع المعرفة النقلية، ولم يخف تصريحه بموقفه ذاك في واحد ربما من اكثر كتبه إثارة للشك والغضب وعدم القبول، بل وبالتكفير وهو كتابه المعروف:

كتاب **فيما يرد به إظهار ما يدعى من عيوب الأنبياء**(٤٣).

إن هذه الروح النقدية المتأججة، التي لم تدع تصوراً أو معرفة أواعتقاداً إلا وناقشته،فاياً كان موقفنا أو موقف الأقدمين منها، فإنها كانت جريئة جداً، قاسية جداً، أصرح مما ينبغي في طرح ما تظنه عقلا، ولكنها دونما شك آتت ثمارها بإثارة النقد تجاهها وتحريك أجواء الثقافة والفكر على اختلاف المذاهب والتوجهات.

ويتبع تلك الروح النقدية، إذا ما أضيف إليها ما عرفناه من الرازي من سرعة في التأليف، واستعداد في المزاج للنقاش، فانه كان بوسعه في حياته أن يرّد على من رد على بعض ما قال، أو أن يرد على بعض من ناقض أفكاره، فنجد ذلك واضحاً في عناوين كتب من كتبه مثل:

كتاب **الرد على أبي القاسم البلخي في الزيادة على جوابه وعلى جواب هذا الجواب.**

وأيضاً:

كتاب **الرد على ابن اليمّان في نقضه على المسمعي في الهيولى**(٤٤)

وكتاب **في نقض نقض الطب الروحاني على ابن اليمّان**(٤٥).

وهكذا فإن ما عرضته بعض الكتابات الجدليةعن حياة الرازي والتي صورته في اكثر من وضع، غالباً، في حالات جدل أو نقاش مع آخرين تنسجم وما يمكن استخلاصه من عناوين هذه الكتب.

(٩)

قلنا في الفقرة (٧) عندما تعرضنا لكتاب "**البرهان**" أن ما فيه من دلالة أو معنى في تغليب العقل ووسائله المنطقية، والبرهان واحد من أساليبه لاستحصال المعرفة، أنها كانت طاغية على معطيات، وأسلوب طرح، ونتاج الرازي عامة، وقد تشربت بمسألة الإيمان بالعقل، ذلك الإيمان المفرط والمتين، جميع أعماله، فليس غريباً أن نجد من مجموع أعماله التي تقرب من الـ (١٤٠) عملا قرابة الـ (١٥) عملاً يرتكز عنوانها أو تكون الغاية منها كما تتبدا في عناوينها، البحث عن سبب بعينه وراء ظاهرة أو سلوك أو قضية بعينها، فترد كلمة أو عبارة، كتاب " في سبب..." في عناوين الكثير من الكتب، وعبارة : كتاب "في العلة التي لها " أيضاً في عناوين عدة من كتبه، مثال ذلك :

كتاب **سبب وقوف الأرض وسط الفلك**

كتاب **سبب تحرك الفلك على استدارة**

كتاب **في سبب قتل ريح السموم أكثر الحيوان**

ثم : كتاب **في العلة التي لها يحدث الورم من الزكام**

كتاب **في علة جذب المغناطيس**

كتاب رسالته **في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظلمة**

كتاب **في العلة الذي يذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وان كان حاذقاً** ... الخ(٤٦).

إن هذا البحث في السبب والعلة كان له آثاره التثقيفية في طرح الأسئلة والبحث عن أجوبة تفسيرية لظواهر الكون المختلفة، فقد أسهم الرازي في دفع حركة البحث عن السببية في وسط مناهج البحث المعرفي العربي الإسلامي، ولكنه لا يخفى أيضاً، انه آثار رد فعل سلبي تجاه الغلو في العقل، فاليه، وإلى مثله من الفلاسفة، أو من بعض المتكلمين من المسلمين، يعود السبب إلى استقواء حركة النقل، ومبالغتها عناداً، لمثل هذا الإتجاه المتطرف في العقل.

ونلحظ مما أوردناه من أمثلة قبل قليل، ان بحث الرازي عن العلل والسبب وتسخير البرهان تسخيراً واسعاً في التقصي المعرفي، لم يتوجه إلى حقل بعينه من حقول المعرفة أو ظاهرة أو عائلة من الظواهر ذات صلة القرابة المعرفية الضيقة أو المتخصصة، بل كان بحثه عن السبب والعلة في مجمل أمور الكون ومعرفته، من فلك، وهندسة، ومناخ وجغرافية، وطب، وبصريات، وطبيعيات، وحتى في مسائل الاجتماع البشري والأداء الحرفي الطبي ومتعلقاته.

(١٠)

إن ذلك التعويل الكبير على العقل الذي رافقته روح التساؤل عن العلة والسبب وراء كل ما هو حادث في الكون على اختلاف تصنيفه معرفياً وفق الحقول المعرفية المعروفة، وذلك الإغراق في تقصي وسائل العقل من تصنيف وبحث واستنتاج وقياس واستنباط ثم غاية ذلك في البرهان، وعندما تبحر شخص مثل الرازي في معطيات من سبقه في هذه الميادين المنطقية ولدّت لديه، خاصة مع اجتماع عنصر حزم مقترن بثقة، قناعات بنتائج منطقه وأحكامه العقلية تصل حد الجزم بالصحة إلى درجة واضحة في عناوين الـ (١٧) كتاباً ورسالة من إعماله،وذلك عندما يوظف (أن) التوكيد توظيفاً واسعاً:

كتاب **أن للإنسان خالق حكيم**

كتاب **في أن صناعة الكيمياء إلى الوجوب اقرب منها إلى الامتناع**

كتاب **في أن الحمية المفرطة تضر بالأبدان**

كتاب **في أن الجواهر لا أجسام**

كتاب **في انه لا يمكن أن يكون العالم لم يزل على مثال ما نشاهده**

كتاب رسالته **في غروب الشمس والكواكب وان ذلك ليس من أجل حركة الأرض بل حركة الفلك**

كتاب رسالته **في العادة وإنها تحول طبيعة**

كتاب **في أن الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل وان ذلك ليس في الوسع**[٤٧].

مرة أخرى هذا الجزم والثقة من قبل الرازي بنتاج بحثه، والذي هو في كثير من الأحيان بمثابة "تصويبات"، كما يعتقد هو، لأفكار خاطئة أو مغلوطة أو غير واضحة، يستشري في كل أنشطته الفكرية في مختلف الميادين العلمية، وحتى ما بعد الطبيعة، وحتى

في مسائل اجتماعية تتعلق بالمهنة والحرفة التي سعى في كثير من كتبه إلى الدفاع عنها وإصلاح أسسها وإيضاح جدواها وتنبيه الغافلين من العامة إلى أماكن الصواب فيها والتحذير من جهّال ممارسيها[٤٨].

(١١)

تقودنا الفقرة السابقة إلى ما نحن بصدده في هذه الفقرة وترتبط به الحسم والجزم في محتوى عبارة العناوين السابقة حيث اقترن ذلك بظاهرة عقلية تميز بها الرازي تميزاً واضحاً عن كل من سواه من مفكري وفلاسفة الإسلام نلحظها واضحة في تغليبه قضية على أخرى في إطار ثنائية تتكرر في الكثير من طروحاته عندما يحاول الفصل بين قضيتين أو موضوعين أو ظاهرتين لمصلحة إحداهما رافضاً الأخرى على انها تفسير الشيء وليس الأولى ترجيح فكرة أو معطى على فكرة أخرى أو معطى أكثر رواجاً رغم خطأه، وهو جازم بتصحيحه الشخصي. تلك الرغبة في الفصل والتمييز بين ما هو في حقيقته اثنين لا واحد اختلطا في إطار المعرفة السائدة والشائعة بين العلماء والمثقفين، يحاول الرازي أن يفتق كل شيء إلى ما قد يمكن أن يكون شيئين مختلطين، أو ما يبدو أنه أحياناً كأنهما تسميتان لشيء واحد أو ما قد يفوت على العلماء من انداده إمكانية التفريق بينه وبين شبيهه بحيث انه إذا ما اشتبهت الأمور وضاعت إمكانية التمييز. تلك هي العبارة مَلَكةُ التمييز النفاذة الدقيقة لدى الرازي متأصلة في طبعه التساؤلي، ورؤيته للأشياء، حيث انه لا يركن إلى مجرد المتعارف على انه فرق بين الشبيهين أو الأشباه، فيُعمّل عقله، موغلاً في الفصل والتمييز للعثور على ارق ما يمكن من ان يكون فارقا فاصلا بين المتشابهات. بالإضافة إلى الأعمال السابقة هناك (٢٢)عملاً من مجمل أعماله تتجلى هذه المواصفات من عناوينها واضحة :

كتاب **في الخريف والربيع**

كتاب **في الفرق بين الرؤيا المنذرة وبين سائر ضروب الرؤيا**

كتاب **ما يقدم من الفواكه والأغذية وما يؤخر**

كتاب **الحصى في الكلى والمثانة**

كتاب **النقرس وعرق المديني**

كتاب **في أن الحركة ليست مرئية بل معلومة**

رسالة **في التعري والتدثر**

رسالة في ما لا **يلصق مما يقطع من البدن وان صغر وما يلصق من الجراحات وان كبر**

رسالته **في تبريد الماء على الثلج وتبريد الماء يقع الثلج فيه**

رسالته **في البحث عن الأرض الطبيعية هي الطين أم الحجر**...[٤٩]

وربما وصل الرازي قمة إمكاناته في وضع ورصد وتوصيف التمييز بين المتشابهين في عمله العالمي الذائع الصيت الذي يعتبر فيه قد سبق الطب وتجاوز خطأه في كتابه المشهور، كتاب **الجدري والحصبة**[٥٠] الذي عد أول تمييز طبي دقيق للإنسانية بين هذين المرضين تمييزاً واضحا، والذي ترك أثره في الطبين الإسلامي والعالمي من بعده[٥١].

يتمم كل ما ذكرناه في الفقرتين السابقتين مجموعة أخرى من عناوين كتب الرازي تنتظم عباراتها صيغ هي في معنى التوجيه والإملاء والتصويب والضبط مرة أخرى هي متأتية من تلك الثقة الكبيرة للرجل بعلمه، وهي بمثابة التعبير عن شخصيته هي الشخصية الاملائية المشيخة التي تعبر عن حرفة التدريس، وتتناسب تماماً مع تلك الصورة التي نقلها أحد الوراقين من زملاء ابن النديم إليه، بعد أن كان قد سمعها من صديق له، يصف أسلوب تحلّق تلامذة الرازي حوله، ومن ثم تحلق تلامذتهم حوله في شكل تجمع طلابي في تشكل هرمي لا ينفذ إلى قمته المريض المراجع إلا بالمرور عبر الحلقات واحدة واحدة حتى إذا ما أعيى دائه الحلقة الأولى صار إلى التي تليها، فإن لم يجد دواءّ لعلته لجأ في نهاية المطاف إلى الشيخ الرازي، حيث الدواء اليقين[٥٢]. صيغ (١٧) كتاب[٥٣] من مجموع كتبه تشير إلى تلك الطبيعة لدى الرازي كرجل إملاء على من حوله، و بالمقابل غائبة صيغ كونه متلقٍ، تماماً كما تعبر الصورة المرفقة من مخطوط قديم، من تلك الكتب :

كتاب **كيفية الإغتذاء**

كتاب **دفع مضار الأغذية**

كتاب **شروط النظر**

كتاب **خواص التلاميذ**

كتاب **ترتيب الفواكه**

كتاب رسالته **في كيفية النحور**

كتاب **رسالته في محنة الطبيب وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وبدنه وشربه**

كتاب **ما يقدم من الفواكه والأغذية وما يؤخر**... [٥٤]

(١٢)

من مجمل ما يشبه المجاميع الصغيرة ذات العلاقة الواحدة، ضمن المجموع العام لكتب وأعمال الرازي، مجموعة من الأعمال التي ينتظمها سلك واحد يجمع أطرافها في عقد جميل همُّ الرازي فيه، كما يبدو من عناوينها، معالجة نواحي الحرفة، وبالذات هنا حرفة الطب في شتى مسائلها، ويمكن إدراج هذه الكتب كما يلي:

كتاب **الرد على الناشئ في نقضه الطب**[٥٥]

كتاب **في الأسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى اخسائهم**[٥٦]

كتاب **الرد على جرير الطبيب فيما خالف فيه من أمر التوت الشامي بعقب البطيخ**[٥٧]

كتاب **إلى من لا يحضره طبيب**[٥٨]

كتاب **في نقض نقض الطب الروحاني على ابن اليمان**[٥٩]

كتاب **تقسيم الأمراض واسبابها وعلاجاتها على الشرح**[٦٠]

كتاب **شروط النظر**

كتاب **ما يعرض في صناعة الطب**[٦١]

كتاب **في العلة التي يذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وان كان حاذقاً**[٦٢]

رسالة **في أن الطبيب الحاذق ليس من هو قدر على إبراء جميع العلل وان ذلك ليس في الوسع**[٦٣]

رسالة **في أن الصانع المستغرق بصناعة معدومة في جل الصناعات إلا في الطب خاصة والعلة التي من اجلها ظهر ذلك في صناعة الطب**[٦٤]

كتاب **المشجر في الطب على طريقة كناش**[٦٥]

رسالته **في العلة التي من اجلها صار ينجح جهال الأطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الأمراض أكثر من العلماء وعُذر الطبيب في ذلك**[٦٦]

رسالة **في محنة الطبيب وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وبدنه وشربه.**[٦٧]

إن هذه الكتب والرسائل جميعها كما يبدو لنا تعالج حرفة الطب كحرفة، فالرازي يدافع عن هذه الحرفة أولاً ضد خصومها الذين لا نعرف بالضبط ما قالوا عنها من نقد بسبب ضياع أعمالهم مما استفزه للإجابة عليهم وهم على الأقل اثنين كما ورد في القائمة أعلاه وهم الناشئ والجاحظ، كما انه رد على بعض الأطباء فيما رآه خطأً وقعوا فيه في توصيفهم للأمراض ووصفهم للأدوية، كما هو الحال في نقضه لجرير الطبيب، ورغم أن معظم رسائله

التي ذكرناها سابقاً هي في الطب عموماً أو خصوصاً إلا انه يستلفت النظر منها على الأقل اثنان فيما يبدو أنهما كتبا من اجل من هو فقير لا يستطيع دفع الكلف العالية للأدوية أو مريض لا يستطيع الوصول إلى طبيب كما هو الحال بالنسبة لكتاب **من لا يحضره طبيب** وكتاب **الأدوية الموجودة لكل مكان**، كما انه من خلال العناوين المتبقية فيما ذكرناه أعلاه يبدو انه كان ذو صوت مرتفع في الوسط العلمي الطبي خاصة في نقده للممارسات السنيئة لمهنة الطب بل وفي غياب الوعي لدى الجمهور عن من هو جيد من الأطباء ومن هو سيئ وقد كان عنيفاً على الأطباء الذين لا يجيدون الحرفة علماً ويمارسونها عن جهل، أما بسبب سوء التعلم أو من باب استغلال جمهور المرضى من المخادعين، فحاول بهذا أن يسهم في نشر الوعي الطبي بين مثقفي عصره، عموماً لا خصوصاً، وربما يكون في عمله الذي جاء على شكل **رسالة في محنة الطبيب**[٦٨] تقويماً لخلاصة آراءه وتجربته الحرفية والمعنية الطبية، حيث الوسائل والطرق والسبل إلى إعداد الطبيب الملائم والجيد وشروط ذلك وكيفية التأكد من اكتمال تلك الشروط في الطبيب بواسطة الامتحان وحتى في الكيفية التي يجب أن يكون عليها الطبيب مظهراً ومخبراً وروحاً وحتى سلوكاً غذائياً، ولو أضفنا لكل هذا وذاك تلك الرسالة النادرة التي كتبها إلى بعض تلاميذه والتي عنوانها "**أخلاق الطبيب**"[٦٩] لأمكننا القول أنها أكمل موسوعة للأسف لولا ضياع معظمها لكونت لنا مرجعية لا يمكن تثمينها في نقد أوجه حرفة الطب جميعاً في الحقبة الإسلامية الحضارية.

(١٣)

هنالك من بين مجموع كتب ورسائل الرازي مجموعة لم تحمل عناوين صريحة من حيث الدلالة على المحتوى، ولكن عناوينها جاءت بمثابة الوصف كما هو الحال عندما سمى أكبر كتبه الطبية المعروف بـ **الجامع** باسم:

كتاب **الحاوي في الطب**[٧٠]

أو عنونه بصيغة النسبة إلى شخص بعينه من ذوي الجاه ممن كتب إليه كتابه أو رسالته أو أعدها بناء على طلبه فجوّد فنسبها إلى تلك الشخصية بالاسم كما هو الحال بالنسبة لكتاب:

كتاب **المنصوري في الطب**[٧١]

والذي ألفه للملك منصور بن إسماعيل بن نوح بن نصر من ملوك آل سامان وكذلك كتابه الآخر الذي اسماه بـ :

كتاب **الملوكي في الطب**[٧٢]

وهو مرة أخرى منسوب للامير علي بن وهسودان الديلمي(٣٠٠-٣٠٤هـ / ٩١٢-٩١٦م) حاكم اصبهان.

ومن هذا الضرب أيضاً كتابه المعروف بكتاب **الفصول**[٧٣] فقد أعطاه عنوان **صفة المرشد**[٧٤] كما أنه واحداً أو أكثر من كتبه المتبقية ورد بصيغة تحتمل حملة تأويلات مثل كتابه الصغير **برء الساعة** التي يعني بها الأمراض التي يمكن علاجها في مدة قصيرة جداً عبر عنها **بالساعة**.

أول هذه الكتب كتاب **الحاوي**، وقد يتبادر للوهلة الأولى، وليس بالضرورة أن يكون في ذلك خطأ، انه أطلق هذه التسمية على الكتاب تعبيراً عما احتواه الكتاب مما يفترض انه مجمل المعرفة الطبية التي عرفها العالم حتى وقته، تماماً كما أسمى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م) كتابه في الأدب **الكامل في الأدب** أو أسمى الطبيب علي بن أبي الحزم بن النفيس القرشي(ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م) كتابه الكبير في الطب باسم **الشامل في الطب**، أو كما أطلق عز الدين علي ابن أبي الكرم بن الأثير الجزري الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) على كتابه التاريخي الشهير عنوان **الكامل في التاريخ** والذي كان أولاً باسم **المستقصى في التاريخ** ولدينا الكثير من هذا مثل **الكافي** و **الوافي**... الخ.

والسؤال الذي نسوقه هو لماذا **الحاوي** وليس واحداً من الأوصاف الأخرى التي سقناها و التي تعطي معنى الكمال أو الشمول ؟؟

نعلم جيداً من مصادرنا أن الرازي في مبتدأ حياته مارس حرفة الضيرفة، وقد أكد ذلك ابن ابي أصيبعة بالدليل المشهود[٧٥]، كما أنه بالإضافة إلى ممارسة الصيرفة تعاطى أول ما تعاطى من المعرفة علم الكيمياء[٧٦]، وكما هو معلوم فإن الغرض من علم الكيمياء كان تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ولم يكن دأب الرازي في تعاطي الكيمياء من باب الهواية أو العبث بل أن الرازي كان جاداً كل الجد في ممارسته الكيمياء، كما يقول ابن النديم وغيره من المؤرخين[٧٧] بل أن له كتاباً يحمل عنواناً توكيدياً يدل على أن صناعة الكيمياء حرية بالوجوب والضرورة[٧٨] وكصيرفي مازجت الكيمياء عمله فانه دونما شك حاول تحويل النقود الخسيسة المعدن كالنحاسية أو الفضية إلى دنانير ذهبية ولدينا ما يثبت ذلك فقد وردت حكاية لدى ابن أبي أصيبعة[٧٩] مفادها أن الرازي في مبتدأ حياته باع قطعاً ذهبية لبعض التجار فلما اشتروها ومضوا بها إلى بلادهم لاحظوا بعد فترة طويلة إنها فقدت لونها وعادت إلى الظهور بمظهرها الأصيل معدناً عادياً وليس ذهبياً مما دفعهم إلى العودة إليه ومطالبتهم بثمنها فرده لهم وفي رواية أخرى انه كان في بعض مجالس حواره ونقاشه حول إمكانيات

الكيمياء في تحويل المعادن انه كان يخرج الفلوس أو الدراهم من جيبه يفركها فتغدو ذهبية فيلقيها إلى الحاضرين[٨٠] فلا بد أن هذا كان ضرباً من ضروب الحيل والخداع، وبالفعل فإن لديه كتاباً في الكيمياء لم يصلنا عنوانه **الحيل** وآخر **الأسرار** وثالثاً **سر الأسرار**[٨١].

من هنا يغدو بالإمكان التصور أن الرازي وهو يمارس ذلك في مبتدأ حياته كأنما كان يتقمص دور الحاوي، بلغة أخرى الساحر " أو صانع الألغاز والحيل السحرية، ولما أن تقدم العمر بالرازي مارس الطب بعد الثلاثين من عمره حسب ما تقول الروايات[٨٢] فانه لم يتخل عن الكيمياء بل استمر في ممارستها والكتابة عنها[٨٣]. وأكثر من هذا ترد رواية لا نعلم بالضرورة مدى صدقها ولكنها تقول انه شاهد أحد الأطباء وهو يشفي الناس من علل واسقام صعبة، فيحصل على مراده من النقد منهم ثمناً لجده فكان أن قال "هذه هي الكيمياء والله" ومن هنا فقد تكون تسمية كتابه الكبير الأشهر من كتبه الطبية **بالحاوي** ذات صلة بمجمل لهذه العناصر المذكورة من حيل وسحر وكسب وتغيير حال من حال إلى حال شبيهة بما يفعله الحاوي وكأنما هو يتقنه من براعته في تجويد العمل الطبي وصناعته قدّم ما يشبه عمل الحاوي، فكانت التسمية وليس بالضرورة أن يكون الرجل واعياً تماماً لصلة التسمية بما ذكرناه، ولكن يكفي أن تكون المسائل التي أتينا إلى ذكرها فيما سلف قابعة في مجال اللاوعي تعبر عن ذاتها في ألفاظه وتصوراته بشكل ارتجالي ليس بالضرورة مدروساً أو مفحوصاً فكانما قد قرّ في ضمير الرجل ذلك التفاعل بين تلك التفاصيل فتجسد ذلك أو تجلى واضحاً في تلك التسمية للكتاب.

أما كتابه الآخر وهو المسمى بـ **المنصوري**، وهو كتاب طبي أيضاً، فانه ألفه إلى شخص بعينه وهو منصور بن إسماعيل بن نوح بن نصر من ملوك آل سامان وليس بالضرورة أن يكون الرازي صاحب التسمية إذ قد يكون صاحبها هو من اهدي الكتاب إليه فاقترح نسبة الكتاب من حيث العنوان اليه، شأن الكثير من الكتب في التراث العربي الإسلامي كـ **المظفري في التاريخ والمنصوري** فيه كذلك ... الخ .والذي يدفعنا إلى الاعتقاد بان صاحب التسمية أو مقترحها هو من ألف الكتاب له وليس المؤلف نفسه، الرازي، هو أن هذا الرجل بالذات وفي مناسبة أخرى طلب من الرازي تأليف كتاب آخر له، هذه المرة ليس في الطب الجسماني بل فيما يمكن تسميته بالطب النفساني وطلب منه أن يطلق عليه اسم **الطب الروحاني** فاسماه الرازي كذلك نزولاً عند طلبه الملكي[٨٤]، رغم انه كما يبدو لنا، كان يفضل له تسمية أخرى وهي **اصلاح أخلاق النفس**[٨٥] ، وهو عنوان لرسالة أخرى له في

نفس الموضوع سبق أن ألفها قبل كتاب **الطب الروحاني**[٨٦] بدليل قوله في مقدمة كتاب **الطب الروحاني** هذا:

" قال محمد بن زكريا الرازي: أكمل الله للأمير السعادة وأتم عليه النعمة، جرى بحضرة الأمير ... ذكر مقالة، عملتها في إصلاح الأخلاق سألنيها بعض أخواني من مدينة السلام أيام مقامي بها ... "[٨٧]

ورغم انه لم يكن صاحب التسمية، ولكنه ارتضاها لواحد يعتبره من أحسن أعماله أو كتبه فانه لاقى نقداً عنيفاً من أحد علماء عصره من دأب على نقده ودخول السجالات النقدية معه فنقد التسمية أول ما نقد من الكتاب من حيث إنها لا تتفق وما يمكن أن يعرف بأنه طب من حيث شكله وموضوعه ومضمونه ووسائله[٨٨].

يضاف إلى ذلك وجود كتاب آخر كما قلنا وهو كتاب **الملكي في الطب** وهو كتاب تأتي عنوانه مرة أخرى من كونه مهدىً إلى ملك من الملوك وهو: علي بن وهسودان الديلمي.

هذا كاف للقول أن الرازي لم يكن ذلك النوع من العلماء الذي ينأى عن مجالس الأمراء والملوك وأصحاب الشأن أو يزهد في لقاء الأثرياء ومن هم علّية القوم في زمانه ومكانه وهذا تؤكده عبارات للرازي نفسه عندما ردّ على من يبدو انهم كانوا يكرهون فيه هذه الصفة في كتابه المشهور **السيرة الفلسفية** عندما قال مبرراً احتكاكه واختلاطه بالأمراء والحكام والسعي إلى استحصال مودتهم بأن "إمامة" سقراط كان لا ينثني عن ذلك وهو النموذج في السيرة الفاضلة[٨٩].

أما كتابه الآخر ذو العنوان الذي يأتي بشكل صفة فهو كتاب **الفصول**، والذي يسمى كما يقول هو نفسه، أي الرازي، في فهرسته، **المرشد**[٩٠]. والسؤال هنا، لماذا حمل كتاب بعنوان الفصول عنواناً آخر هو **المرشد**؟ نحن نعلم أن **الفصول** هو عنوان لأحد كتب ابقراط الطبيب اليوناني الأساسية التي كانت مما لا مناص من درسه من قبل أي إنسان يسعى إلى التأهل لمرتبة الطبيب تماماً كما كان مقرراً في مدرسة الإسكندرية القديمة وما أصبح مقرراً للتدريس الطبي العربي بعد أن جاء الإسلام في عصر حنين بن إسحاق مثلاً [٩١]. ونستطيع ترجيح أن الكتاب بالاستعانة بالتسمية، **المرشد**، انه وظف ليكون بمثابة الدليل الهادي للقاري في خضم موضوع، تفترض مفردة **المرشد** انه بمثابة " التيه " لغموضه واضطرابه ولا حاجة بنا لقراءة مقدمة الكتاب نفسه لنفهم ذلك : يقول الرازي في هذه المقدمة:

" دعاني ما وجدت عليه فصول ابقراط من الاختلاط و عدم النظام والغموض، والتقصير عن ذكر جوامع الصناعة كلها أو جلها، وما اعلمه من سهولة حفظ الفصول و علقها بالنفوس، إلى ان اذكر جوامع الصناعة الطبية وجملها على طريق الفصول واتحرى في ذلك الايضاح و التمثيل وترك الاغراق و الوغول في الغوامض...."[٩٢]

وإذا لاحظنا أن التراث العربي زخر بالشروح للأطباء المسلمين، بعد عصر الرازي، وخاصة في بلاد الشام ايام النهضة الطبية البيمارستانية في زمن نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي (٥٤١ -٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٣م) ثم صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب (٥٧٠-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م) في دمشق، أدركنا أن كتاب **الفصول** هذا لابد وأنه كان، وكما وصفه الرازي، عسيراً بعض العسر بدليل أن كثرة الشروح عليه من حيث العدد قياساً بعدد الشروح على أي من كتب ابقراط أو جالينوس المدرسية[٩٣] تجعلنا ندرك أن هذا الكتاب بعينه كان من الكتب الصعبة التي تحتاج بالفعل " مرشدا " إلى فهمها.

إن صفة أو قيام الرازي بمهمة الدليل أو ربما " المرشد " كما قد يحلو له ان يوسم، بالنسبة لقاريء عصره، إلى التراث الفكري لعلماء اليونان القدامى هو من ضمن قناعاته،ناهيك عن ان ذلك كان مسعى طموحا لمعظم فلاسفة المسلمين قبل وبعد الرازي، كالكندي والفارابي وابن رشد، وربما آخرهم في عصرنا عبد الرحمن بدوي.

(١٤)

هناك لدينا من بين كتب الرازي كتاباً يحتل مرتبة هامة في نَفْس الرازي ذاته كما يبدو ومن بعض كلامه[٩٤]، رغم إننا نلحظ أن معظم كتب الرازي، حاله حال أي مؤلف آخر ربما يعتبر كل كتبه مهمة ويندر أن يستطيع أن يغلّب أحدها على الآخر في مرتبتها لديه، كتاب **السيرة الفلسفية** أو **السيرة الفاضلة**[٩٥]، أياً كانت التسمية كما وردت مختلفة في القوائم[٩٦] فإن ما يهمنا هو لفظة السيرة في العنوان أولاً ثم الفاضلة ثانياً من حيث الأهمية والسؤال الذي لا يجب أن نتسرع كثيراً في طرحه، وان طرحناه فلا يجب التعجل بالإجابة عنه، هو لماذا السيرة ؟ ونحن نعلم انه حتى عصره الفت بالعربية كتباً قليلة[٩٧] في السيرة ولكن أهمها هي في سيرة الرسول ﷺ !! وهو في الحقيقة لا يتطرق في أي مكان من كتبه إلى موضوع الرسولﷺ أو سيرته. هل أن السيرة الفاضلة هنا هي سيرة الفيلسوف في مقابل

سيرة النبي، تلك التي نوّه إليها يوماً معاصره الفيلسوف المسلم الفارابي في مكان ما من "آراء أهل المدينة الفاضلة" ؟[٩٨].. ولكن ما هو اقرب إلى الفهم وايسر من حيث التفسير وأسهل من حيث الربط هو البحث عن وشيجتين بين السيرة الفاضلة للرازي وما ذكر من أن من اسماء "إمامه" من الفلاسفة، سقراط كان قد ألّف سيرة فاضلة[٩٩] فهنا مرة أخرى يغدو الرازي وراء أعلام الفكر اليوناني يحاكيهم ويناقشهم ويجادلهم ويحذو حذوهم ويتبع خطاهم دون أن ينسى تفرده و خصوصيته، على انه الرازي.. وليس أحداً آخر.

(١٥)

في نهاية المطاف، وبالرغم من أن هناك كتباً ورسائل عدة أخرى حملت عناوين مباشرة سوف نتجاوزها، فهي لا تتطلب وقفة طويلة ، لعدم احتواء عناوينها على خصوصيات بعينها ويكفي منها الدلالة على توجهات اهتمام الرازي العلمية مثل كتاب **اللذة** وكتاب **العلم الالهي** وكتاب **هيئة الكبد** ... الخ. إلا إننا نود أن نشير ما يجب التوقف عنده، لقد لاحظنا أن معظم الصيغ السالفة للعناوين هي مما يعبر عن ذات الرازي أكثر من أي شيء آخر.. وفيها ما يعبر عن طبيعة سلطوية مشيخية له، دون تلقيا أو استلام في مقابل الإملاء والأمر والتوكيد من جانبه. بل أن مفردات كثيرة مثل " نقض "، " رد "، " الشكوك على "، " دفع مضار "،.. الخ فيها ما يعبر عن بعض من العنف والقسوة ربما، فأين هو موضع العطف والرحمة وحب الآخرين والاهتمام بالمرضى والتواضع مما وصف به الرازي مما قد يبدو مبالغاً فيه وهو مما استقرأه ابن أبي أصيبعة من خلال قراءاته حيث يقول : "أقول وكان الرازي ذكياً فطناً رؤوفاً بالمرضى، مجتهداً في علاجهم وفي برأهم بكل وجه يقدر عليه"[١٠٠]. مع هذا فإن خمس عناوين أو ست على الأقل توحي بمثل تلك الروح التي ربما يكون مؤرخنا الكبير قد استقراء من خلالها حكمه الذي سقناه للتو:

كتاب **إلى من لا يحضره طبيب**

كتاب **الأدوية الموجودة بكل مكان**[١٠١]

هذان الكتابان هما تعبير عن ذلك الاهتمام الذي تمتع به الرازي تجاه من لا يستطيع أن يَرد الأطباء من المرضى المقعدين تماماً، أو ممن بعدت بهم المكان فأعياهم أو أعجزهم الوصول إلى طبيب دون جهد لا يستطيعونه وإشارة أيضاً إلى محاولة الرازي توفير الدواء الرخيص الثمن السهل التوفر في كل بيئة من بيئة المرضى، وفي هذا شيء من الرحمة الواضحة مما يأتلف مع النص الذي أورده ابن أبي أصيبعة، ولكن مما يقلل من رصيد

الرازي من هذه الخصلة الإنسانية المستوحاة من العنوانين هو أن أحد الكتابين، كتاب **إلى من لا يحضره طبيب**، لم يكن صادراً عن مبادرة ذاتية منه بل بإيعاز من رجل عطوف ممن كان في زمالة الرازي.

وتسلسل أسماء الكتب الثلاثة التالية في قائمة فهرست كتب الرازي هكذا :

كتاب **إلى من لا يحضره طبيب**

كتاب **الأدوية الموجودة بكل مكان**

ثم .... كتاب **الطب الملوكي**

يبعث على التساؤل لماذا تداعى أو لماذا استذكر الرازي كتاب **الطب الملوكي** الذي تحدثنا عنه في الفقرة رقم (١٣) قبل قليل بعد الكتابين الأولين ؟؟.. فهل سبق إلى ذاكرته طب الضعفاء والمعدمين قبل طب الأغنياء والمقتدرين، " الملوك "، وان الضعفاء هم همه الذي له الأولوية، وما تذكر " الملوكي " هنا الا من باب تحصيل الحاصل مما يستوجبه المقام اذ هو يعد قائمة يفترض بها الشمول ؟؟، أم إننا هنا نبالغ كثيراً في الضغط على ذاكرة الرجل وتحميلها أكثر مما نستطيع في محاولة قياس مستوى إنسانيته، ولكن دونما شك أن ورود كتاب **الطب الملوكي** كان ترتيبه منطقياً عندما تم تذكر كتاب طب الفقراء قبله.

تلك الإشارة إلى إنسانية الرازي وعاطفته تجاه المريض يمكن أن نلحظها في عنوان كتاب آخر وهو:

كتاب **في التلطف في ايصال العليل إلى بعض شهواته**(١٠٢)

ونحن نستقرئ من مفردات العنوان، وليس من المحتوى، ما استقرأناه للاستدلال على ما وصفنا الرازي به. هذا مع ضرورة ملاحظة أن هذا الكتاب المذكور الذي وردت فيه مفردة "التلطف" وردت في خضم ذكر مجموعة من اكتب تكثر فيها مفردة النقض والعلة وكأنما لا تتيح للقائمة لنا أن نغلّب عنصر العطف على القوة والعنف في سلوك الرازي.

إن الروح السلسة الشفوقة قليلة التجلي في عناوين كتب الرازي، كما لاحظناه مما سبق، ولكننا نجدها مرة أخرى في كتاب:

كتاب **في الإشفاق على أهل التحصيل من المتكلمين والمتفلسفين**.

وربما أجمل ما لدينا هو عنوان تصطرع فيه طبيعتي اللطف والرحمة والقسوة في نفس الرازي في عنوان كتاب واحد على الأقل وهو عنوان:

كتاب **دفع مضار الأغذية**(١٠٣)

فالهدف سمح إنساني طبي منطقي صيغ بعبارة ضارية.

الخلاصة:

بعد هذه الجولة الطويلة التي قادتنا إليها الألفاظ هنا وهناك في تضاعيف عناوين كتب الرازي، وفقاً لقائمته، نلحظ إننا خلصنا إلى فهم، قد يكون مبعثراً، ولكنه واضح. فالرازي شخص واسع المعرفة ممتد افق الاطلاع، متميز في مدى الإلمام بحقول معارف عصره، متين الثقة بنفسه، لا يشعر بأنه في الكيمياء وعلمها دون معرفته بالطب وصناعته، أو الفلسفة وتناولها، فنفس الصياغات في التعبير عن الثقة الكبيرة بالنفس موزعة على عناوين كتبه في شتى المعارف بنفس النسب وبذات العبارة فلا ينتاب تلك الثقة ضعفاً في مواجهة علم دون علم. هو في قناعته ند للسابقين من اليونانيين، يحترمهم أيّما احترام، ويقتدي بهم، ويجل علومهم ونتاجاتهم المعرفية، ولكن، لا يمنعه ذلك من نقدهم فتلك هي حال المعرفة وهي في طرقها إلى أن تتألق كحقيقة مطلقة لا يمتنع عن النقد لهم ولا يجعله ذلك النقد يستنقص منهم وربما طاب لخاطره، كما حلى للكثير من مفكري المسلمين، أن ينعت بنعوت اليونانيين من الفلاسفة الكبار، وان يظهر بمظهر ارسطو أو سقراط أو جالينوس. وفي وسطه الثقافي وبين علماء عصره سعى أن يكون دليلاً مرشداً غير متبع فقط بل ناقد أيضاً لمعاصريه إلى فهم قدماء العلماء وتصحيحهم ربما كان عنيفاً فيما أراد أن يقود علماء زمانه إليه قوياً في إملاء قناعاته المعرفية ودلائله البرهانية لم يكن يأبى أن يعيش مجادلاً طوال حياته فيسعى إليه ولم يزهد بمجالسة الملوك والأمراء أن توفرت له الفرصة فلم يكن يشعر نحوهم بالضعف، كما انه لم يكن مستهيناً بهم وكان أمامه في سيرته الفلسفية سقراط شيخ الفلاسفة اليونان ومعلمهم الذي دان له أفلاطون تلميذه وارسطو تلميذ تلميذه رغم انهما فعلاً بتراث سقراط ما أراد هو أن يفعله بتراثهما من نقد وتفاعل وقبول ورفض، ولكنه دونما شك كان أقسى على معاصريه من علماء المسلمين أو غير المسلمين ممن أتيح له محاورتهم أو مجادلتهم بدليل ألفاظ النقد المستخدمة تجاههم مما هو أقسى مما استخدم مع السابقين من اليونانيين الذين تناولهم حواراً ونقاشاً وجدلاً وشكاً، ولم يكن الرجل يخلو من عاطفة وإنسانية دونما شك، ولكن ليس بذلك القَدر الذي يوحي به أحد النصوص الأكثر رواجاً ووروداً عند كتابة سيرته من قبل المؤرخين المسلمين القدامى.

هوامش البحث:

(١) الدراسات التي تناولت الرازي كثيرة ومتعددة كذلك فأن المؤتمرات والندوات التي عقدت في أكثر من مكان كثيرة ايضاً وربما كمن باب الإيجاز ان نشير إلى اشمل عمل عربي فردي تناول الرازي حياته وتراثه بالحد الأدنى المطلوب هو : فرات **فائق: أبـو بكـر الرازي (حياته وماثره)**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٩٧٣.

(٢) أبو إسحاق **بن النديم: الفهرست لابن النديم**، مع مقدمة شائقة عن حياة ابن النديم وفضل **الفهرست** بقلم احد أساتذة الجامعة المصرية، دار المعرفة للطباعة والنـشر، بيـروت، ١٩٧٨، ص٤١٥ – ٤٢٠، وكذلك ص ٥٠٤.

(٣) احدث نشرة لــ **فهرسة مؤلفات الرازي للبيروني**، قام بأعدادها: عزيز العظمة: **أبو بكر الرازي**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص١٨٥ – ١٩٥.

(٤) جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف **القفطي، تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزنـي المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، يطلـب مـن مكتبة المثنى ومكتبة الخانجي بمـصر، تحقيـق، يوليـوس لبيـرت، ليبـزك، ١٩٠٣، ص٢٧١-٢٧٧.

(٥) انظر موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم ...المعروف بـ : **ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق : نزار رضا، منشورات دار مكتبـة الحيـاة، بيروت، بلا تاريخ، ص٤١٤-٤٢٧.

(٦) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٦.

(٧) **القفطي: تاريخ الحكماء**، ص٢٧١-٢٧٣.

(٨) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٦-٤١٧.

(٩) **فهرست**: ابن النديم، ص٤١٦.

(١٠) نفسه، ص٤١٦، ٤٢٠.

(١١) **أصيبعة: عيون**، ص١٣٤.

(١٢) نفسه، ص٢٧٢-٢٧٣.

(١٣) نفسه، ص٥٥٧-٥٥٩.

(١٤) نفسه،ص٦٨٣-٦٩٦.

(١٥) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٦.

(١٦) نفسه والصفحة.

(١٧) **أصيبعة: عيون**، ص٤١٦. ورد في النص ما يلي: "ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينـسخ اما يسود أو يبيض".

(١٨) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٨.

(١٩) نفسه والصفحة.

(٢٠) انظر التفاصيل لدى : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله **الحموي** المعروف بــ : **يـاقوت الحموي: معجم الأدباء**، تحقيق: مارجوليوث، مطبوعات دار المـأمون، مـصر، بـلا تاريخ، ج١٦، ص١١٣، ومن جملة ماوصف الجاحظ به حاله وهو مصاب بـالأمراض قوله: "امري ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرجٍ بائلٍ وعقـل حائـل". وفـي المصدر المذكور مزيد.

(٢١) محمد بن زكريا **الرازي**: كتاب **السيرة الفلسفية**، ص٩٩، ضمن **رسائل فلسفية لأبـو بكر الرازي**، دار الافاق الحديثة، بيروت، ط١، ١٩٧٣.

(٢٢) نفسه وأيضاً : احمد بن عبد الرحمن بن محمد المعروف **بصاعد الأندلـسي: طبقـات الأمم**، تحقيق: حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص

(٢٣) انظر بحث مهدي **محقق**: "النقد العلمي فيِ الإسلام بالإشـارة إلـى كتـاب الـشكوك للرازي"، ص٥، بحث على الالة الكاتبة قدمه الكاتب إلى **المؤتمر الأول لتاريخ العلـوم عند العرب**، جامعة حلب، ١٩٧٥. وكذلك انظر ما نشر من مقتبسات من هـذا الكتـاب لدى: **العظمة: أبو بكر الرازي**، ص٦١-٧٨.

(٢٤) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٧.

(٢٥) **العظمة: أبو بكر الرازي**، ص١٠.

(٢٦) انظر: **الفهرست**، ص٤١٦-٤٢٠.

(٢٧) نفسه.

(٢٨) **صاعد: طبقات**.

(٢٩) **ابن النديم: الفهرست**، ص ٤١٦-٤١٨.

(٣٠) **محقق**: "النقد العلمي ... "، ص٤.

(٣١) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٦.

(٣٢) القفطي، **تاريخ الحكماء**، ص ٢٧-٥٣.

(٣٣) لم يصلنا الكتاب.

(٣٤) أبو علي بن سينا: **البرهان من كتاب الشفاء**، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص٣٦.

(٣٥) بهذا الخصوص انظر: **القفطي: تاريخ الحكماء**، ص٣٥-٣٦.

(٣٦) أنظر: **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٦-٤٢٠ انظر ترجمة حياته لدى: **أصيبعة: عيون**، ص٤١٤-٤٢٧. وانظر كذلك عن مناظراته كمثال ما نشر ضمن: " رسائل فلسفية "، ص٢٩١-٣١٦.

(٣٧) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٨.

(٣٨) سبق ايراد نص القاضي صاعد بحقه، ثم انظر رأي مطول في هذه المسألة قدمه أبو الريحان البيروني عندما فهرس كتب الرازي والذي نشر في كتاب **العظمة: أبو بكر الرازي**، ص١٨٥-١٨٧. وقد صنف البيروني بعض كتب الرازي المرفوضة والمنبوذة لسوء محتواها عن الأنبياء ضمن ما تعارف عليه في كتبه "الكفريات"، ص١٩٥ من نفس المرجع.

(٣٩) **محقق**: "النقد العلمي ...". وأنظر ايضاً: **المقتبسات المطولة من كتاب الشكوك** لدى **العظمة: أبو بكر الرازي**، ص٦١-٩٢.

(٤٠) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٩.

(٤١) نفسه، ص٤١٨.

(٤٢) **صاعد: طبقات**، ص١٣٧.

(٤٣) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٩.

(٤٤) نفسه، ص٤١٨-٤١٩.

(٤٥) نفسه والصفحات.

(٤٦) نفسه، ص٤٢٠.

(٤٧) نفسه والصفحة.

(٤٨) نفسه والصفحة.

(٤٩) نفسه، ص٤٢٠.

(٥٠) نفسه، ص٤١٨. ثم انظر حول تقريض هذا الكتاب بأكثف عبارة وأكثرها معلومات: زيغريد **هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي، المكتب التجاري، بيروت، ط١، ١٩٦٤، ص٢٥٠.

(٥١) نفس المرجع والصفحة.

(٥٢) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٥-٤١٦.

(٥٣) نفسه، ص٤١٦-٤٢٠.

(٥٤) نفسه والصفحات.

(٥٥) نفسه، ص٤١٧.

(٥٦) نفسه والصفحات.

(٥٧) نفسه، ص٤١٧-٤١٨.

(٥٨) نفسه، ص٤١٨.

(٥٩) نفسه والصفحة. ملاحظة عن هذا الكتاب واحتمال الخطأ في تسمية ابن اليمان. انظر: مقدمة التحقيق لكتاب **الطب الروحاني** المنشور ضمن **رسائل فلسفية**، ص١-٣.

(٦٠) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٨.

(٦١) نفسه، ص٤١٩.

(٦٢) نفسه، ص٤٢٠.

(٦٣) نفسه والصفحة.

(٦٤) نفسه والصفحة.

(٦٥) نفسه والصفحة.

(٦٦) نفسه والصفحة.

(٦٧) نفسه والصفحة.

(٦٨) نفسه والصفحة.

(٦٩) محمد بن زكريا **الرازي : أخلاق الطبيب**، (رسالة إلى بعض تلاميذه)، تحقيق: عبد اللطيف محمد العبد، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧٧. ولم يرد عنوان هذا الكتاب في **فهرست ابن النديم**.

(٧٠) **ابن النديم: الفهرست**، ص٤١٧.

(٧١) نفسه والصفحة.

(٧٢) نفسه، ص٤١٨.

(٧٣) نفسه، ص٤١٩.

(٧٤) نفسه والصفحة.

(٧٥) **أصيبعة: عيون**، ص٤٢٠.

(٧٦) نفسه، ص٤١٩.

(٧٧) ابن النديم: الفهرست، ص٥٠٤. وكذلك: أصيبعة: عيون، ص٤١٩.

(٧٨) ابن النديم: الفهرست، ص٤١٧.

(٧٩) أصيبعة: عيون، ص٤١٩.

(٨٠) انظر: فائق: ابو بكر الرازي، وقد نقل هذه المسألة من فم الرازي كما أوردها في كتابه الكيمياوي المشهور الاسرار وسر الاسرار، ص١٧٠.

(٨١) ابن النديم: الفهرست،ص٥٠٤.

(٨٢) أصيبعة: عيون، ص٤١٤.

(٨٣) فائق: ابو بكر الرازي، ص١٦٨.

(٨٤) انظر: كتاب الطب الروحاني، ص١، منشور ضمن رسائل فلسفية، ص١٥.

(٨٥) نفسه، ص٢٠.

(٨٦) نفسه،ص١٥.

(٨٧) نفسه، ص٢٠.

(٨٨) رسائل فلسفية من مقدمة محقق الطب الروحاني اقتباس ورد في ص١٠.

(٨٩) انظر: السيرة الفاضلة، منشور ضمن رسائل فلسفية، ص٩٩.

(٩٠) ابن النديم: الفهرست، ٤١٩.

(٩١) أصيبعة: عيون، ص٥٣-٥٥.

(٩٢) محمد بن زكريا الرازي: كتاب المرشد، تحقيق: البير زكي اسكندر ومحمد كامل حسين، منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٧، ج١، ذي القعدة، ١٣٨٠هـ، ص١٧-١٧٣.

(٩٣) انظر تفاصيل هذا الموضوع في بحثنا: "الطب في بلاد الشام في العهد الأيوبي: انعكاس لثقافة الجهاد في ذلك العصر"، بحث قدم إلى المؤتمر السادس لتاريخ بلاد الشام في دمشق، تشرين الثاني - ٢٠٠١.

(٩٤) انظر: كتاب السيرة الفلسفية ، منشور ضمن رسائل فلسفية.

(٩٥) حول التسميات المختلفة لهذا الكتاب انظر: فائق: أبو بكر الرازي، ص٢١٦.

(٩٦) نفسه.

(٩٧) ؟

(٩٨) محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة.

(٩٩) ابن النديم: الفهرست، ص٣٤٣.

(١٠٠) أصيبعة: عيون، ص٤١٦.

(١٠١) ابن النديم: الفهرست، ص٤١٨.

(١٠٢) نفسه والصفحة.

(١٠٣) نفسه، ص٤١٩.